في جرن المعمودية) . . . انك قد جُعلت كراس لجسم اخوتك وكان لهم . . . لما رأى ابنا زيدى عرش بطرس طلبا من سيدهما ان تعطى لهما عروش مثله لكنَّ هذا الوحي لم يُوحَ به الاب الّا لبطرس الذي هو الصخرة التي المتزعزعة

فنختم هذه الامثلة بتكرار الشكر لهمّة غبطة السيد البطريرك الذي اظهر هذا التأليف الى حيّز الوجود بعد ان كان معرَّضاً للدثار ثمّ نحضُّ الراغبين في مطالعة الآثار القديمة ان يقبلوا عليه ويلتقطوا منهُ اسنى الفوائد

التجارة في القرن التاسع عشر

نظر في تقلُّباتها ونواميسها الجديدة للاب هنري لامنس اليسوعيّ

انَّ الاختراعات العجيبة التي دوَّنها تاريخ العلوم والتي بها تمهَّدت الطريق لما هو اعظم شأناً وارفع قدراً ليست بالفضل الوحيد العائد على القرن المتحرم . فانَّ لهُ ايضاً اليد الطولى في تقدُّم التجارة فحوَّر النواميس التي كانت جاريةً عليها من ذي قبل . وقصدنا في هذه النبذة ان نوقف قرَّاءنا الكرام على اهمّ تلك التحويرات

واوَّل ما تأثَّرت بهِ التجارة فزاد رواجها انتشار الادوات الميكانيكيَّة في عالم الشغل فان بها توفَّرت الارزاق وامتدَّت الثروة العموميَّة . وبسببها خفَّ شغل العملة الماديّ حتى صار عملهم ارقى واعقل . ومن جرَّائها خصوصاً تسهَّلت واتَّسعت المعاملات بين الشعوب كما انَّها قرَّبت الوسائل لترقيات أُخرى عتيدة

وكانت حالة التجارة حتَّى اوائل القرن التاسع عشر اشبه بحالة الامم فانَّها كانت منزويةً معتزلةً في قطر دون آخر . وكانت كلّ دولة متشبّثة بناموس حماية تجارتها تبالغ في صيانتها من مزاحمة جاراتها فتنشئ الحواجز المنيعة حول تخومها من دواوين وحرس كما يفعل اهل الارزاق بوضع الاسيجة المشوكة حول املاكهم . ثمّ رأت بعد ذلك انَّ في فعلها لَشطَطاً اذ تبعد عنها مرافق البلاد وتترك الوطن في عزلة سيئة بينما التجارة تطلب التقرُّب والموالات بين الشعوب

بيد انَّ شغل الادوات كان يزداد يوماً بعد يوم حتى ان محصولات بعض البلاد كانكلترة مثلاً أربت بعد حين على مقطوعيَّاتها وهذا ما دفع الدول الى عقد معاهدات تجاريَّة بنوها

على شروط متبادلة وتسهيلات في المعاملات والجوازات الديوانيَّة ينتفع بها الأمتان المتعاهدتان. واوَّل عهد تجاريّ توثّق بين الدول انما كان بين فرنسة وانكلترَّة سنة ١٨٦٠ ثمَّ استحسنتهُ غيرها من الدول فجرت على موجبه ودخلت هذه العهود بعد ذلك في سلك المبادي التي ألفتها الشعوب في معاملاتها ونالت منها كلّ جدوى وفائدة ثمَّ أُنشئت بعد حين السكك الحديديَّة وترقَّت الملاحة البخارية فزادت الحاجة الى مثل تلك المعاهدات الدوليَّة

ومما ساعد على توسيع نطاق المعاملات التجاريَّة عامل آخر غاية في الخطر زيد الثقة العموميَّة بين المتاجرين (الكرديتو) فانها كانت قبل ذلك محصورة في بلاد معلومة ثمَّ اتَّسعت حلقتها حتى كادت تعمُّ كلّ الدول فأُنشئت اوراق الحوالات (البوالص) والمفاتيح العموميَّة وشركات المصارف والتدويج ثمَّ حُسنت المعاملات المالية فحصل بكل ذلك ترقّ عظيم في المتاجرات لم يُعرف له مثال سابق. وكانت النقود في الوقت ذاته تزيد وتنمو حتَّى ان المسكوكات التي كانت تبلغ سنة ١٨٠٢ نحو ٢٥٠ مليونًا من الفرنكات زادت على ذلك نحو ثلاثة اضعاف سنة ١٨٥٠ وهي اليوم تتجاوز مليارين ونصف من الفرنكات

ومن فضل هذه التحسُّنات انَّها زادت في ثروة الافراد وغنى الشعوب ورفعت أُجرة العمَلة وحسَّنت اسباب المعاش وخفَّفت معدَّل الموتى فنتج عن كلّ ذلك نهضة في الهمم لم تُعهد سابقًا. وجرى ايضًا بين الدول التسابق التجاريّ وسعى الناس في ربح الاسواق ليفوز بعضهم على بعض وتضاعفت بهذه المجاراة حركة الاشتغال وجودة الاعمال اذ لا شيء كالمزاحمة لتنشيط الهمم البشريَّة

والى السنة ١٨٧٠ لم ترَ بين الدول الاوربيَّة من يفكر في التجارة مع الخارج الَّا الدولتين السابق ذكرهما. اما منذ السنة ١٨٧٠ فقامة المانية وعارضت انكلترَّة وفرنسة ولم تزل تجاريهما في مدَّة ثلاثين سنة حتى تمكَّنت من الفوز بقصبة السبق على فرنسة وتهدَّدت تجارة انكلترَّة وذلك بتوفُّر سكَّانها وترقّي صناعتها وزراعتها ومتجرها (١ ثمَّ دخلت في هذا الميدان السلميّ الدول الصغرى كسويسرة وخصوصًا بلجيكة فلعبت به

(١ راجع كتاب تاريخ التجارة لاوكاف نريل (Histoire du Commerce,III, §87)

دوراً مهماً واصدرت الى الخارج المحصولات المتوفرة عندها شاكرةً لله على سقوط الحواجز القائمة في وجهها وإزالة العقبات المتعرضة لها . فتوصلت بعد حين الى ان استعاضت بتجارتها ما ينقصها من سعة التخوم . ومما استنهض همم الدول الاوربية دخول الولايات المتحدة في حومة هذه الحرب التجارية مع ما لها من الأملاك الفسيحة والثروة الطائلة والترقي الصناعي الهائل فكان ذلك باعثاً لاوربة لتحفظ منها وتقتدي بمثلها

على انَّ هذا التوفُّر الزائد في محصولات التجارة كاد يكون خطراً لولا سعي الدول بتحسين احوال مستعمراتها النازحة . وكانت روسية مدَّت سلطتها الى اقاصي سيبريا فبلغت الاوقيانوس الهادي . ثم عُرفت مجاهل افريقية وتعدَّدت فيها الاستعمارات الاوربية فتوجهت اليها المحصولات التجارية وأُنشئت فيها مراكز النفوذ لكلّ دولة . وزد على ذلك انَّ الصين بل كلّ الشرق الاقصى فتح ابوابهُ للمعاملات الدولية فكأنَّ به فُتح عالم جديد لمساعي البشر لتصريف اعمالهم الصناعية . كيف لا والصين وحدها ينيف عدد اهلها على ٤٠٠ الف الف من النفوس اعني انها تزيد على ربع سكّان الارض . فلله ما اوسع هذا المجال لمستقبل الصناعة والتجارة

ولكن قل لي يا رعاك الله لمن يكون السهم الأفوز في هذا الميدان ؟ لا شكَّ انَّ الفائز هو الذي يمكنهُ نقل محصولاته بشروط أوفق واسعار اهود يرضى بها المشتري ويُقبل عليها . وان شئت فقل انَّ الفوز التجاري في المستقبل يكون لاي شعب تتوفَّر لديه المواد الأوَّلية التي عليها مبنى الصناعة والتجارة اعني الحديد والفحم الحجري ويكون مالكاً على معامل تامة الاهبة قديرة على العمل . ثم ينبغي لهذا الشعب ان توافقهُ حالتهُ السياسية بحيث يستطيع عمَّالهُ ان يشتغلوا باجرة متهاودة . وهو شرط يزيد القيام بهِ في الدول الكبرى كلَّ يوم صعوبةً لانَّ مثل هذه الدول تُثقل عاتق اهلها بالضرائب وتكثر ديونها وتزيد قواها العسكرية . وذلك بخلاف الدول الصغيرة التي خلوها من هذه الاثقال تقوى على مجاراة الدول الكبيرة في تجارتها . ولعلَّ تلافي الاضرار الناتجة عن هذه الحالة سوف تحمل الدول على نزع السلاح وهو امر يشعر الجميع بضرورتهِ

وهاك بعض الارقام نثبتها هنا ايضاحاً لما يتأتَّى على وجه الاجمال من اتساع نطاق التجارة . لمَّا ابتدأ القرن العشرون منذ عهد قريب كان طول السكك الحديدية في العالم اجمع بالتمام ٤٠٢,٠٠٠ كيلومتر تنقل في السنة ثلاثة مليارات من المسافرين واكثر من

صورة الاب الدكتور لويس موسيل في زي سياحته الى بادية مؤاب

مليارَي طنّ من السلع. وكذلك بلغت الاسلاك التلغرافيّة البرّيّة ١,٢٠٠,٠٠٠ كيلومتر طولًا والبحريّة ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر وكادت الاسلاك التليفونيّة تبلغ ٧٠٠,٠٠٠ كيلومتر وقد وُزنت الاسلاك التلغرافيّة فقُدّر ثقلها بستّة مليارات كيلوغرام. امّا السفن التجاريّة في العالم فتنقل ما يساوي محمول ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ برميل وقد بلغت نفقاتها خمسة عشر مليارًا من الفرنكات. فهذه الارقام تولي معتبريها الحيرة والاندهاش لكنّها عبرةٌ محسوسة تبيّن بوضوح ترقّي التجارة في عهدنا على التجارة قديمًا

ودونك ارقامًا اجرى توقفك على المزاحمة التجاريّة بين الدول الكبرى في ترويج سلعها. تبلغ تجارة المانية الخارجيّة (وسكّانها ٦٠,٠٠٠,٠٠٠) ١٨ مليارًا من الفرنكات. وتجارة انكلترّة (وسكّانها ٤٣,٠٠٠,٠٠٠) ٢٢ مليارًا. وتجارة بلجكا (وسكانها ٧,٠٠٠,٠٠٠) ٨ مليارات فلا ينقصها الّا نصف مايسار لتساوي بجمل تجارة فرنسة. فلو قابلت الدول وساويت بين عدد سكّانها ومبالغ تجارتها تحقّقت انّ السبق لبلجكة على جميعها. وانّ لانكلترّة المقام الثاني يقتضيها ان تزيد تجارتها الى نيف وخمسين مليارًا لتعارض بلجكة. ومن هذا ترى بطلان قول القائلين بانّ السبق في التجارة للبلاد البروتستانيّة وكلّ يعلم انّ بلجكة دولة كاثوليكيّة. فالدين الكاثوليكيّ لا ينفي اذن الترقّي المادّي وثقوب العقل في تدبير الامور لا بل نراهُ يعوّض ما ينقص الدول الصغرى من جهة العدد ويمكّنها من مجاراة غيرها من الامم

وقد استندنا في تدوين الارقام السابقة الى كتاب نفيس ألّفهُ احد اساتذة مكتب الدروس التجاريّة العليا في باريس اسمهُ اوكتاف نويل. وقد دعا تأليفهُ بتاريخ التجارة منذ اقدم القرون الى ايّامنا. وهاءنذا قد انجز قسمهُ الثالث والاخير (١ ومنهُ اخذنا النتائج التي استلخصناها آنفًا ومن احبّ ان يقف على تفاصيلها المطوّلة مع بيان اسانيدها فعليهِ بمراجعة الاصل فانهُ يجد فيهِ كلّ ما يُطلب من الأسفار العاميّة من ادلّة وبيّنات وخرائط ورسوم وجداول للتقاويم فانّهُ حقيقةٌ من التُحف التي لا يستغني عنها كلّ من يُعنى بالدروس التجاريّة. جزى الله خيرًا مؤلّفهُ . . . . . .

١) واسم الكتاب :

Histoire du Commerce du Monde depuis les temps les plus reculés par Octave Noël. — III. Depuis la Révolution française jusqu'à la guerre franco-allemande (1870-1871), *Paris, Plon-Nourrit* 1906, p. 684 avec planches.

الطرُق في بعلبك وضواحيها

بقلم الاثريّ الاديب ميشال افندي الوف

غنيٌّ عن البيان ما كان لبعلبكَّ من الخطارة في المدنيَّة والترقي في العمران . فقد كانت في سالف العصور المدينة المقصودة في سوريَّة لحسن هوائها وطيب مائها واستفحال العصبية الوثنية فيها اذ كان يؤمُّها كثيرون من اهل المعرفة والصناعة للعمل في ابنيتها العظيمة والوفٌ من الزوَّار لاقامة المناسك الدينيَّة فيها . تلك اسباب جعلتها في مقدَّمة المدن السوريَّة بالثروة وازدهار التجارة وتقدُّم الصناعة . بل أنَّها وهي قائمة في ارضٍ اختصَّتها الطبيعة بحسن التربة وغزارة المياه وسلَّطتها على سهلٍ فسيح ترويه الجداول الوفيرة فنُبتت احسن الحبوب وأطيب الاثمار تحفُّهُ الجبال الشاهقة المزيَّنة باحراج الارز والسرو والشربين والسنديان والدلب والمُلول آويةً اليها القطعان العديدة من الغنم والمعز حتى أنَّها لتلك الارض التي تدرُّ لبنًا وعسلًا مفيضةً الخيرات والبركات على اهالي هذه السهول . كل هذا وبعلبكُّ في متوسطٍ من الارض بين امَّهات المدن القديمة العامرة يطوي الركبانُ المسافة منها واليها بيومين من طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا ودمشق وحمص ومعلولا وبعبدا . فلا غروَ أن تكون نقطةً مهمةً للمواصلات ومحطةً تتزاحم فيها القوافل وتتسابق اليها رجال الجد والاقدام واهل التجارة من سائر البلدان مصدرين منها انواع تجارتهم الى بعيد الاقطار

كل هذه اسباب تزيدنا تثبُّتًا في قِدَمية بعلبك وإن خَفيَت عن نواظرنا اثارُ اهليها الاقدمين . فهل لم يفطن الفينيقيُّون لهذا الموقع البديع وقد كانوا رجال اتكدّ والعمل والقابضين على اعنَّة الاخذ والعطاء في سائر الامصار ؟ لا لعمري فانَّ هذه الاسباب والاسم الفينيقي الذي نُعتت به بعلبكُّ لأوضح دليل على كونها من اقدم المدن وانَّ الامم الشرقيَّة اتخذتها طريقًا للتجارة بين بلدانها والمدن الواقعة في وادي العاصي وعلى ضفاف الفرات . ولو لم تكن بعلبكُّ اقرب موصلٍ لهذه البلاد لاتخذت السكك الحديديَّة طريقًا اخرى في غير سهلها ونفذت منهُ الى الشهباء وبلاد الفرات

*